فادي نحاس*

دلالات تصاعد المدّ الديني في الجيش الإسرائيلي

(*) كان المؤتمر السنوي لكبار الضباط في الجيش الإسرائيلي للعام ٢٠٠٩ الذي ترأسه رئيس هيئة أركان الجيش آنذاك، غابي أشكنازي، والذي عقد في إحدى القواعد العسكرية وسط إسرائيل وحضره جميع الضباط الذين يتقلدون رتبة مقدم فما فوق، ملفتاً للأنظار بشكل خاص. فالأغلبية الساحقة من الضباط الذين حضروا المؤتمر كانوا من أتباع "التيار الديني الصهيوني"[١]، وقد كان المشهد ملفتاً، كما عبرت عنه الصف العبرية، لدرجة أن رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق، الجنرال احتياط شلومو غازيت، اعتبر أن الصور التي بثتها قنوات التلفزة الإسرائيلية لكبار الضباط المتدينين وهم يتحركون في القاعة التي عقد فيها المؤتمر معتمرين قبعاتهم الدينية المزركشة هي "دليل على وقوع الجيش الإسرائيلي في قبضة التيار الديني الصهيوني".

وفي مشهد آخر، في "مؤتمر المتدينين والعلمانيين في الجيش الإسرائيلي" الذي أُقيم بمبادرة مركز بيغن- السادات في جامعة بار إيلان، قال رئيس هيئة الأركان العامة في الجيش الإسرائيلي، بيني غانتس، في تطرقه للارتفاع في عدد الضباط المتدينين الذين يخدمون في الجيش الإسرائيلي: "ما من داع للخوف من تزايد أعداد المتدينين في الجيش"، مشيرًا إلى أن كبار الضباط في الجيش مثل "قائد لواء غولاني، قائد ماجلان، وأي صاحب منصب آخر،

١ ينقسم المتدينون في إسرائيل إلى تيارين أساسيين: الأول، "التيار الديني الصهيوني"، وهو التيار الذي عدّ نفسه - منذ البداية- جزءاً لا يتجزّأ من الدولة، وعدّت مرجعياته الروحية الخدمة العسكرية ليس مجرد واجب تقتضيه المواطنة، بل فريضة دينية يتوجب القيام بها على أكمل وجه. ويشكل أتباع هذا التيار فقط ٧-١٠٪ من عدد اليهود، وذراعهم السياسي حزب "المفدال" الديني، وينتمي معظم المستوطنين إلى هذه الشريحة. أما الثاني فهو "التيار الديني الأرثوذوكسي"، وهو التيار الذي توصلت مرجعياته الروحية مع مؤسس الدولة دافيد بن غوريون إلى اتفاق يقضي بإعفاء المنتسبين إليه من طلاب المعاهد والمدارس الدينية من الخدمة العسكرية، والتفرغ لدراسة الدين، مع العلم أن أتباع هذا التيار يشكلون حوالي ١٨٪ من اليهود في إسرائيل.

* طالب دكتوراة في جامعة حيفا ومحاضر في كلية مار إلياس- عبلين.

المتدينون في الجيش الإسرائيلي: ظاهرة متنامية

لم يتم اختيارهم لمناصبهم بسبب قبعاتهم وإنما بسبب كفاءاتهم وخبراتهم" . وفي سياق حديثه أقر غانتس بوجود ظاهرة المتدينين خاصة في صفوف الضباط، بقوله: "في قسم كبير من الحالات أنا حتى لا أعرف ما إذا كانت لديهم قبعات على رؤوسهم. . . هذه ظاهرة سليمة لمجتمع ديناميكي حيث في كل مرة مجموعة أخرى من السكان تقوم بالانتقال. في الماضي كانت حركة الكيبوتسات واليوم القبعات المطرزة" .

بدوره تطرق ضابط التربية والتعليم الرئيسي، العميد إيلي شرميستر، إلى الظاهرة في المناسبة نفسها، منبهاً: "علينا العمل بالمعايير المناسبة وأن نكون على حذر لكي لا ندع الأيديولوجيات تؤثر على الجدول اليومي في الجيش، وفي المكان الذي يوجد فيه تصادم- سيكون من الواضح أن الأمر وروح الجيش هما اللذان يسيطران" . وأضاف شرميستر أنه لا توجد "سيطرة" لضباط متدينين على الجيش في هذه المرحلة.

غير أن نائب رئيس هيئة الأركان العامة الأسبق، موشيه كابلينسكي، يتوقع أن يسيطر أتباع هذا التيار على هيئة أركان الجيش في غضون عقدين من الزمن في حال ظلت وتيرة اندفاعهم نحو المواقع القيادية على هذا النحو.

ويؤكد الجنرال يهودا دونيدينان، الذي كان مسؤولا عن قسم الشبيبة في وزارة الدفاع، في حوار صحافي حول تغلغل المتدينين الصهاينة في المواقع القيادية للجيش، أن أتباع التيار الديني الصهيوني أصبحوا يشكلون "العمود الفقري" للجيش.

المعطيات

هناك عدة معطيات ذات دلالة واضحة على تصاعد المد الديني في صفوف الجيش وخاصة الضباط في العقدين الأخيرين، مما دعا الجيش الإسرائيلي إلى منع نشر معطيات أو إحصاءات رسمية حول حجم ظاهرة الضباط المتدينين منذ العام ٢٠٠٨، بإدعاء أن الموضوع سياسي وقد يؤدي إلى توتر بين العلمانيين والمتدينين في المجتمع اليهودي.

وبحسب المعطيات الصادرة عن قسم القوى البشرية في الجيش الإسرائيلي للعام ٢٠٠٨، فإن ٦٠ بالمئة من الضباط في الوحدات القتالية في الجيش هم من أتباع التيار الديني الصهيوني. وترتفع نسبة أتباع هذا التيار في ألوية المشاة المختارة إلى ٧٠ بالمئة، في حين تصل نسبتهم في الوحدات الخاصة إلى حوالي ٧٥ بالمئة. وعلى سبيل المثال، في وحدة "ماجلان" وحدها نصف الضباط بمن

لقد بدأ تنامي التيارات الدينية الأصولية اليهودية بشكل خاص منذ العام ١٩٦٧، ومن ثم تصاعد هذا التنامي بصورة لولبية منذ صعود الليكود إلى السلطة العام ١٩٧٧ وتراجع قوة حزب العمل أو تراجع قوة تيار الصهيونية العلمانية، هذا ناهيك عن التغيرات الديمغرافية والاجتماعية التي ترتبت على الهجرة المتتالية ذات الأصول الغربية والشرقية، والتي كانت فيها تيارات ثقافية ولغوية وحضارية متباينة تركت بصماتها القوية على المجتمع الإسرائيلي وأبرزت هويته غير المتجانسة.

فيهم القائد متدينون.

في بحث أكاديمي لضابط من سلاح المشاة (لم يذكر اسمه)، نشر في مجلة "معراخوت" العسكرية العام ٢٠٠٧، ذكر أن نسبة الضباط في سلاح المشاة ارتفع من ٥ر٢ بالمئة في العام ١٩٩٠ إلى ٤ر٣١ بالمئة في العام ٢٠٠٧. كما ورد في البحث ذاته أن نسبة الجنود المتدينين الذين أنهوا دورة ضباط في سلاح المشاة وصل إلى ٢٨ بالمئة في العام ٢٠٠٨.

كما ذكر المراسل العسكري لمجلة سلاح الطيران، حاجي ليفي، أن عدد المتدينين الذين تخرجوا العام ١٩٩٧ من دورة إعداد طيارين مقاتلين، قد تساوى مع عدد الخريجين من أبناء الكيبوتسات، بعد أن كان هؤلاء يحتلون في السابق المرتبة الأولى بين تشكيلات الطيارين المقاتلين. وذكر المراسل العسكري يوآف ليمور أن العناصر المتدينة اقتحمت مدارس تخريج ضباط الصف مروراً بكلية تخريج الضباط وانتهاء بدورات تخريج قادة السرايا والكتائب. ويضيف ليمور أن العناصر المتدينة باتت موجودة داخل القيادات العليا في الجيش، بعد أن كانت الشخصية المتدينة الأكبر في الجيش هي شخصية الحاخام العسكري.

وكشفت صحيفة هآرتس، في تقرير لها عن ظاهرة تزايد الجنود المتدينين، أن نسبة الجنود المتدينين في صفوف الجيش الإسرائيلي تتراوح ما بين ٤٠ إلى ٥٠ بالمئة والعديد منهم يحتل مواقع مؤثرة وكلها بفضل تعاليم الحاخام أبراهام كوك، الأب الروحي لحركة "المعسكر الوطني الديني" الذي أسس في بداية القرن العشرين تيارا سياسيا يجمع ما بين الوطنية الصهيونية والتعاليم التوراتية.

وقد أكد نائب رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي السابق دان هارئيل، في مقابلة مع صحيفة يديعوت أحرونوت، أن أتباع التيار الديني الصهيوني يقودون معظم الكتائب والسرايا في ألوية المشاة المختارة، وهي: المظليون وهناحل وجفعاتي وغولاني. ويحتكر أتباع هذا التيار قيادة وحدات الصفوة بشكل مطلق، وهي سييرت متكال، التي تعتبر أكثر الوحدات نخبوية في الجيش الإسرائيلي، وإيجوز وشمشون ودوخيفات، فضلاً عن سيطرتهم على الوحدة المختارة للشرطة والمعروفة بـ "يسام".

ولا يكتفي أتباع التيار الديني الصهيوني بالسعي للسيطرة على الجيش، بل إنهم فطنوا في العقدين الماضيين لأهمية السيطرة على جهاز المخابرات الداخلية (الشاباك) الذي يعتبر أكثر الأجهزة الاستخباراتية تأثيراً على دائرة صنع القرار في الدولة العبرية. ويشير يعقوب بيري الرئيس الأسبق للشاباك إلى أن معظم مسؤولي المناطق في الجهاز أصبحوا من أتباع التيار الديني، مع العلم أن نائب رئيس الشاباك السابق، والذي يشار إلى الحرف الأول من اسمه بـ "ي"، والذي أصبح رئيسًا للجهاز وكشف أن اسمه هو يورام كوهين، هو من أتباع التيار الديني الصهيوني.

نقطتا تحول في ١٩٦٧ و١٩٧٧

لقد بدأ تنامي التيارات الدينية الأصولية اليهودية بشكل خاص منذ العام ١٩٦٧، ومن ثم تصاعد هذا التنامي بصورة لولبية منذ صعود الليكود إلى السلطة العام ١٩٧٧ وتراجع قوة حزب العمل أو تراجع قوة تيار الصهيونية العلمانية، هذا ناهيك عن التغيرات الديمغرافية والاجتماعية التي ترتبت على الهجرة المتتالية ذات الأصول الغربية والشرقية، والتي كانت فيها تيارات ثقافية ولغوية وحضارية متباينة تركت بصماتها القوية على المجتمع الإسرائيلي وأبرزت هويته غير المتجانسة. وقد انتشر المد الديني المتطرف بشكل خاص بين أبناء

الطوائف اليهودية ذوي الأصول الشرقية الذين وجدوا أنفسهم في وضعية دونية من الناحية الاجتماعية وأحيانا مهمَّشين مقارنة بأقرانهم من ذوي الأصول الغربية، مما جعلهم يعملون بتعصب من أجل الاحتفاظ بهوية متميزة من خلال الدين، ومن خلال السعي الدؤوب إلى تصدّر مراكز حساسة وذات تأثير في الدولة. ومع تزايد المد الديني داخل المجتمع الإسرائيلي وتزايد مشاركة الأحزاب الدينية في الحياة السياسية وتنامي قوتها داخل الكنيست (البرلمان) وبروز إمكانية حصول انسحابات إسرائيلية من مناطق عربية محتلة، أدرك المتدينون أن تأثيرهم على الأحداث لن يكون كاملاً من دون أن يكون لهم موطئ قدم في الجيش، ليس فقط على مستوى التواجد الرمزي في الوحدات المقاتلة، بل أيضا على مستوى السعي للوصول إلى مراتب قيادية عالية.

ومن الجدير ذكره، أن الصحف الإسرائيلية تشير في خضم النقاش حول ظاهرة التسرب من الخدمة العسكرية إلى أنه في المقابل هناك الآلاف من خريجي المعاهد الدينية يتدفقون منذ فترة طويلة من الزمن على الالتحاق بالجيش، ولكن مع الحفاظ على روابطهم الوثيقة بمعاهدهم وزعاماتهم الروحية التي لا تزال تمثل مصدر الإلهام الأول لهم في سلوكهم وتصرفاتهم، بحيث تحولت الخدمة العسكرية لديهم إلى وسيلة لخدمة المشروع الديني المسياني. وفي هذا المجال صدرت فتاوى حاخامية كثيرة تحذر من "المفاوضات السلمية" وتدعو إلى رفض إي انسحاب إسرائيلي من الجولان، وإلى رفض أية أوامر عسكرية في هذا المعنى.

لم يقتصر السعي الديني للتوغل داخل الجيش الإسرائيلي على تولي مناصب قيادية عليا أو على الالتحاق بالدورات المختلفة لتخريج الضباط أو صفوف الضباط، بل امتد ليشمل مرحلة ما قبل التجنيد الإلزامي. وبادر الزعماء الدينيون إلى تشجيع الشبان المتدينين الذين لم يحن بعد موعد تجنيدهم، على الاهتمام بالمسار العسكري وتفضيله على مسار الحياة المدنية، وذلك من خلال إنشاء مجموعة من المعاهد، التي تقوم بإعداد الشباب المتدينين للحياة العسكرية.

ومن أجل ضمان محافظة أتباعها على القيم الدينية في أثناء خدمتهم العسكرية توصلت المرجعيات الدينية لهذا التيار إلى اتفاق مع قيادة الجيش يقضي بإنشاء معاهد دينية عسكرية خاصة يواصل الجنود والضباط المتدينون فيها تلقي علومهم الدينية خلال خدمتهم

التدين في الجيش الإسرائيلي: مظهر لتغير اجتماعي.

العسكرية، وقد أطلق على هذه المعاهد اسم يشيفوت ههسدير. وحتى الآن تمت إقامة ٤٢ معهدا من هذا القبيل، أهمها وأكبرها معهد مركاز هراف في القدس المحتلة.

وعلى الرغم من أن الجيش يقوم بتمويل إقامة هذه المعاهد ويدفع مرتبات مديريها من الحاخامين، إلا أن التيار الديني الصهيوني يتحكم بشكل مطلق في هذه المدارس. ونظراً للأهمية القصوى التي ينظر إليها قادة التيار الديني الصهيوني إلى هذه المدارس، فقد أوكل مهمة إدارتها إلى عدد من كبار الحاخامين ومرجعيات الإفتاء المعروفين بتطرفهم.

حتى أوائل الثمانينيات من القرن الماضي ظلت نسبة المتدينين الصهاينة في الهيئات القيادية في الجيش أقل من النسبة التي يمثلونها من حيث تعداد السكان. فحتى ذلك الوقت ظل القادمون من القرى التعاونية "الكيبوتسات" – التي تمثل قلاع العلمانية الإسرائيلية – ينفردون بالسيطرة على المواقع القيادية في الجيش، لدرجة أن الانتماء لـ (الكيبوتس) كان رديفاً للانتساب للوحدات المختارة في الجيش، مع أنه بمثل هذا الانتساب تُفتح الطريق أمام احتلال المواقع القيادية في الجيش والدولة مستقبلاً. لكن منذ ذلك الوقت حدث تغيّر دراماتيكي متلاحق وملفت للنظر، فقد قلّت نسبة خريجي (الكيبوتسات) الذين يلتحقون بالوحدات المختارة بسبب تحلّل الكثير من هؤلاء من الإيمان بـ "واجب التضحية من أجل الدولة". في المقابل حدثت عملية عكسية تماماً، حيث كانت توجيهات المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني لأتباعها بأن عليهم أن يتوجهوا تحديداً للانخراط في الوحدات المختارة والسريات النخبويّة في الجيش، من أجل قيادة الجيش، وبالتالي التحكم في المشروع الصهيوني. والذي سهّل على الصهاينة المتدينين تحقيق هدفهم وهو وجود ما يُعرف بالعبرية بـ "يشيفوت ههسدير"،

وعلى الرغم من أن "يشيفوت هسدير" يتم تمويلها من قبل الجيش، كما أن مديريها من الحاخامين يتلقون رواتبهم من خزانة الدولة، إلا أن نظام التعليم فيها مستقل تماماً، وتتحكم فيه المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني دون أي قدر من الرقابة على مضامين مناهج التعليم فيه، وعلى الرغم من أن الخدمة العسكرية في إسرائيل إلزامية، إلا أن الانتساب للوحدات المختلفة داخل الجيش هو أمر اختياري وطوعي، لكن بفعل التثقيف والتعبئة التي يتعرضون لها داخل "يشيفوت هسدير"، فإن أتباع التيار الصهيوني الديني يتجهون للانتساب للوحدات المختارة، وسرايا النخبة في الجيش.

وهي معاهد دينية عسكرية يمولها الجيش وينضم إليها حصراً أتباع التيار الديني الصهيوني بعد تخرجهم من المدرسة الثانوية. ويقضي هؤلاء ثمانية عشر شهراً في هذه المعاهد، يمارسون خلالها تعليمهم الديني، وفي نفس الوقت يؤدون الخدمة العسكرية، مع العلم أنه بعد تخرجهم منها يقضون ثلاثين شهراً إضافية في الخدمة العسكرية. يبلغ عدد هذه المدارس ٤٢ مدرسة يديرها الحاخامون، ويتم التشديد فيها على أن "الخدمة العسكرية والروح القتالية هما مهمة جماعية يفرضها الدين بهدف قيادة المشروع الصهيوني". من هنا كان كل طالب في هذه المدارس لا ينظر للخدمة العسكرية على أنه يؤدي خدمة إجبارية تنتهي بعد ثلاث سنوات، بل إنها بوابة واسعة لممارسة التأثير على مستقبل الدولة، وعلى عملية صنع القرار فيها. وعلى الرغم من أن "يشيفوت هسدير" يتم تمويلها من قبل الجيش، كما أن مديريها من الحاخامين يتلقون رواتبهم من خزانة الدولة، إلا أن نظام التعليم فيها مستقل تماماً، وتتحكم فيه المرجعيات الروحية للتيار الديني الصهيوني دون أي قدر من الرقابة على مضامين مناهج التعليم فيه، وعلى الرغم من أن الخدمة العسكرية في إسرائيل إلزامية، إلا أن الانتساب للوحدات المختلفة داخل الجيش هو أمر اختياري وطوعي، لكن بفعل التثقيف والتعبئة التي يتعرضون لها داخل "يشيفوت هسدير"، فإن أتباع التيار الصهيوني الديني يتجهون للانتساب للوحدات المختارة، وسرايا النخبة في الجيش. وشيئاً فشيئاً أصبح معظم قادة الوحدات المقاتلة من المتدينين. ومعظم القادة والمنتسبين للوحدات المختارة مثل "سرية وحدة الأركان"، و "إيجوز"، "دوفديفان" و "يسام"، هم أيضاً من المتدينين. ليس هذا فحسب بل إن المتدينين يحتكرون الخدمة فيما يُعرف بـ "سرايا النخبة" التابعة لألوية المشاة، فمثلاً ٦٠ بالمئة من القادة والمنتسبين لسرية النخبة في لواء المشاة "جفعاتي" هم من المتدينين.

يمكن تلخيص الأسباب الحقيقية والدوافع الكامنة وراء هذه التوجهات بما يلي:

إن المؤسسة العسكرية هي بوتقة المجتمع الحقيقية. وإن دمج المتدينين فيها يكسبهم القدرة العالية على التأثير من دون التأثر المخل بالالتزامات الدينية.

أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هي قاعدة انطلاق للتأثير في المجتمع المدني بكل مؤسساته. وبالتالي يمكن للمؤسسة الدينية أن توجد لنفسها مساحة أكبر وأوسع في المجتمع المدني من خلال المؤسسة العسكرية.

أن حصول نسبة غير قليلة من المتدينين على تدريب عسكري متقدم في كافة المجالات يزيد من قوة وقدرة اليهود والمتدينين، ولا سيما المستوطنين، في إمكانية الاعتماد على الذات في المجالات الدفاعية تجاه الأخطار الداخلية أو الخارجية.

الهدف- التأثير على دائرة صنع القرار في إسرائيل

يؤكد المتدينون في إسرائيل أن تأثيرهم على الأحداث لن يكون كاملاً من دون أن يكون لهم موطئ قدم في الجيش مع السعي للوصول إلى مراتب قيادية عالية، كما هي الحال في ميادين مختلفة، ولذا فإن القيادات الدينية بمختلف أطيافها وتفرعاتها الطائفية والعرقية والسياسية، تتركز في مواقع قيادية للعديد من المؤسسات الرسمية وأهمها دار الحاخامية، ووزارة الشؤون الدينية

طلاب متدينون في "يشيفوت ههسدير" تأهيلاً للحياة العسكرية.

سابقاً، والكيبوتس الديني، والتأمين الوطني وسواها من المؤسسات الأخرى. وبحكم هذا الانتشار لا ينحصر تأثير المؤسسة الدينية هذه في المجال الاجتماعي والعقائدي فحسب، بل يمتد إلى المجال السياسي والأمني، ليجعل منها واحدة من أكبر قوى الضغط والنفوذ في شتى المجالات تحت شعار الحفاظ على الدين اليهودي والحكم بالشريعة اليهودية التي تعتبر احد أهم عناصر القومية اليهودية.

إن رهانات "التيار الديني الصهيوني" على دفع أتباعه لتصدر المواقع القيادية في الجيش والمؤسسة الأمنية هدفه التأثير على دائرة صنع القرار في إسرائيل. فعلى الرغم من أن الحكومة كممثل للمستوى السياسي هي صانعة القرار، إلا أنه من تقاليد الحكم في إسرائيل أن يرجع المستوى السياسي للمستويات العسكرية والأمنية قبل اتخاذ أي قرار هام، مما منح الجيش مكانة مركزية.

إن المؤسسة العسكرية لا تبدي أي موقف رسمي وعلني ومبدئي من ظاهرة تصاعد المد الديني في صفوف الجيش الإسرائيلي وقادته. لعل الصحف العبرية ومعظمها طابعه علماني، هي التي تعبر عن الموقف السائد المتخوف من هذه الظاهرة في معظم أوساط ومؤسسات دولة إسرائيل. صحيفة هآرتس الإسرائيلية تناولت الظاهرة بالقول: "إن صعود الحركة الدينية القومية والتعصبية يهدد طابع إسرائيل الصهيوني إن لم يكن وجودها المادي أيضا"، ونقلت في تقارير عدة وجهات نظر لعدد من العسكريين والمسؤولين تشير إلى أن قادة الجيش والدولة غير متحمسين كثيراً لتصاعد المد الديني في صفوف الجيش عامةً وقياداته خاصةً. فقد أكّد مراراً بعض القادة العسكريين والزعماء السياسيين في مقابلات صحافية، ومنهم رئيس هيئة الأركان الأسبق أمنون ليبكين- شاحاك، أن الجيش لن يستطيع توفير ظروف خدمة خاصة بالمتدينين تجعلهم في معزل عن غيرهم من الجنود غير المتدينين وبعيداً عن الفتيات اللاتي في الخدمة. وقد أوضح رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق، إسحق رابين، أن "الجيش غير راغب في تجنيد أبناء المعاهد الدينية المتعصبة، لأنهم لا يستطيعون الانصياع للأوامر، وأن تجنيدهم سيسيء للجيش أكثر مما سيحققه من فوائد".

في مقابل هذه المواقف التي أثارت إشكاليات كبيرة وخطيرة

توصل التيار الديني القومي الصهيوني إلى صيغة حل وسط مع الحكومات الإسرائيلية المتتالية، تقوم على إنشاء معاهد عسكرية متديّنة، تجمع ما بين الدروس الدينية والعسكرية، بحيث يتم تحويل خريجي هذه المعاهد إلى الجيش لقضاء فترة خدمة قصيرة يعودون بعدها إما إلى مواصلة دراساتهم الدينية أو الانضمام إلى الأنشطة المختلفة في المجتمع.

داخل الجيش الإسرائيلي وخارجه، توصل التيار الديني القومي الصهيوني إلى صيغة حل وسط مع الحكومات الإسرائيلية المتتالية، تقوم على إنشاء معاهد عسكرية متديّنة، تجمع ما بين الدروس الدينية والعسكرية، بحيث يتم تحويل خريجي هذه المعاهد إلى الجيش لقضاء فترة خدمة قصيرة يعودون بعدها إما إلى مواصلة دراساتهم الدينية أو الانضمام إلى الأنشطة المختلفة في المجتمع.

من المتوقع أنه في حال واصل أتباع التيار الديني الصهيوني تصدّر المواقع القيادية في الجيش والمؤسسة الأمنية فإن الاستشارات التي يقدمونها للمستوى السياسي تكون متأثرة إلى حد كبير بمواقفهم الدينية. فعلى سبيل المثال اتهم وزير التعليم الإسرائيلي الأسبق يوسي ساريد رئيس قسم الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية الجنرال يعقوب عميدرور، وهو صهيوني متدين بأنه قام بـ "فبركة" التقويمات الإستراتيجية التي قدمها للحكومة لتتلاءم مع خطه السياسي، مشيراً إلى أن عميدرور كان يخرج عن طوره لكي يقنع أعضاء الحكومة أنه لا طائل من إجراء مفاوضات مع السلطة الفلسطينية وسورية ولبنان (عميدرور هذا تسلم مؤخرًا منصب رئيس مجلس الأمن القومي).

من ناحية أخرى، فإن الأحزاب الإسرائيلية تتنافس فيما بينها على استمالة الجنرالات الذين يسرحون من الخدمة العسكرية لضمهم لقوائمها الانتخابية، الأمر الذي يفتح الطريق أمامهم للمشاركة في صنع القرار السياسي. وكلما زاد عدد أتباع التيار الديني الصهيوني الذين يسرحون من الجيش برتب عالية يزداد تأثير هؤلاء على دائرة صنع القرار السياسي، مما يعني أن اندفاع أتباع هذا التيار نحو المناصب القيادية في الجيش سيكون عاملاً إضافياً في إفشال فرص التوصل لتسوية سياسية للصراع.

ونظراً لمساهمة أتباع هذا التيار في الجهد الحربي بشكل يفوق أي تيار آخر، فإن المرجعيات الدينية والنخب الفكرية التابعة له ترى أنه يتوجب على الحكومة الإصغاء لها وأخذ موقفها بعين الاعتبار. ولا تكاد تخلو أدبيات هذا التيار من الإشارة إلى مدى مساهمة هذا التيار في حرب لبنان الثانية العام ٢٠٠٦، حيث يشيرون إلى أن مستوطنة "عيلي" التي يقطنها أتباع التيار الديني الصهيوني ويبلغ عدد سكانها سبعمئة مستوطن، قدمت في الحرب عدداً من الجنود القتلى يساوي عدد الجنود الذين قتلوا من مدينة تل أبيب التي يقطنها مليون نسمة.

ولعل المثال الأبرز لتأثير المتدينين على العمل الحربي هو الحرب على قطاع غزة العام ٢٠٠٨- ٢٠٠٩. ولا يمكن تحليل الوحشية التي تعامل بها الجيش الإسرائيلي في حربه الإجرامية على قطاع غزة من دون الانتباه إلى التركيبة البشرية للألوية والوحدات الإسرائيلية التي شاركت في هذه الحرب. وعلى الرغم من أن هناك تعليمات واضحة من قيادة الجيش باعتماد إستراتيجية "الأرض المحروقة" خلال الحرب، إلا أنه لا يمكن تجاهل حقيقة أن جميع ألوية المشاة التي شاركت في الحرب على القطاع، باستثناء لواء المظليين، كان يقودها جنرالات من أتباع التيار الديني الصهيوني الذين يتعرضون لتحريض فج على القتل لدوافع عنصرية. لقد برز حاخامو الجيش الإسرائيلي إلى الواجهة خلال الحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة. وأثار عدد من أنشطة الحاخامين أسئلة حول النفوذ الديني السياسي داخل الجيش. فقد كشفت صحيفة هآرتس الإسرائيلية أن الحاخامية العسكرية وزعت على الجنود المتدينين خلال العدوان على غزة فتوى أصدرها الحاخام شلومو أفنير، مدير مدرسة عطيرت كوهانيم المتطرفة في القدس، تحث على قتل الفلسطينيين. في نفس الوقت، عكف الحاخام العسكري الرئيس للجيش الجنرال آفي رونتسكي على تفقد الجنود في أثناء الحرب وحثهم على قتل الفلسطينيين مشدداً على أنه لا يوجد ثمة مدنيين بينهم، حيث حرص رونتسكي على اصطحاب عدد من أكثر الحاخامين تطرفاً

ونظراً لمساهمة أتباع هذا التيار في الجهد الحربي بشكل يفوق أي تيار آخر، فإن المرجعيات الدينية والنخب الفكرية التابعة له ترى أنه يتوجب على الحكومة الإصغاء لها وأخذ موقفها بعين الاعتبار. ولا تكاد تخلو أدبيات هذا التيار من الإشارة إلى مدى مساهمة هذا التيار في حرب لبنان الثانية العام ٢٠٠٦، حيث يشيرون إلى أن مستوطنة "عيلي" التي يقطنها أتباع التيار الديني الصهيوني ويبلغ عدد سكانها سبعمئة مستوطن، قدمت في الحرب عدداً من الجنود القتلى يساوي عدد الجنود الذين قتلوا من مدينة تل أبيب التي يقطنها مليون نسمة.

لتعبئة الجنود على القتل.

ما يثير اللغط والمخاوف داخل المؤسستين السياسية والعسكرية، هو التخوف من عدم التزام المتدينين بالسلطة القانونية وميلهم الدائم إلى تجاوز القوانين على أساس عقائدي ديني، وميل هؤلاء إلى العنف والعدوانية المفرطة وعدم احترام أوامر الحكومة، خاصة في ما يتعلق بالانسحاب من بعض الأراضي العربية المحتلة هنا أو هناك. وفي هذا السياق كتبت صحيفة هآرتس، ما ذكر أعلاه، حول التخوف من صعود الحركة الدينية القومية والتعصبية كتهديد لطابع إسرائيل الصهيوني إن لم يكن تهديداً لوجودها المادي أيضا.

من المحتمل أن تصاعد التدين في صفوف الجيش الإسرائيلي قد يعيق تفكيك المستوطنات في حال اتخذت الحكومة الإسرائيلية الانسحاب منها. ولقد حذرت منظمات وجهات إسرائيلية مدافعة عن السلام مع الفلسطينيين من تنامي نزعة التدين في صفوف الجيش الإسرائيلي وإمكانية أن يعوق ذلك تفكيك المستوطنات العشوائية في الضفة الغربية لاحقا، خاصة وأن الجنود المتدينين هم من أبناء المستوطنات.

انعكاس لتحولات المجتمع الإسرائيلي

خلاصة القول، إن دمج الجمهور الديني في الجيش الإسرائيلي ليس استثناء، هذه نزعة موجودة ومتصاعدة في كل تشكيلات النظام العام وفي القطاع الخاص. وهذه الظاهرة في الجيش الإسرائيلي هي انعكاس لتحولات المجتمع الإسرائيلي. الجيش الإسرائيلي الذي كان يفخر بعلمانيته، صارت وحداته اليوم مليئة بمن يعتقدون أن حروب إسرائيل هي "حروب الله".

لكن الاعتقاد السائد هو أنه طالما أن الحكومة هي مصدر الصلاحية، فلن يستطيع التيار الديني الصهيوني السيطرة على المواقع الحساسة لحد التأثير على المناخ والقرار العسكري.

ومن المفترض أن يستمر اندفاع أتباع التيار الديني الصهيوني نحو المواقع القيادية في الجيش وسعيهم لاحتكار قيادة الألوية المختارة ووحدات النخبة في الجيش، الأمر الذي قد يصعد مساحة وحدّة الجدل في المجتمع إسرائيل حول تداعيات ظاهرة تصاعد التدين في الجيش الإسرائيلي على مستقبل الدولة، وذلك لأن المجتمع الإسرائيلي يعتقد أن سيطرة أتباع "التيار الديني الصهيوني" على مقاليد الأمور في الجيش قد تؤدي إلى تأثيرات عميقة على طابع نظام الحكم في إسرائيل، وستعمل على تآكل "الطابع الديمقراطي". وإن كان من سمات الديمقراطية خضوع القادة العسكريين لتعليمات الحكومة المنتخبة، فإن أتباع هذا التيار يتتلمذون على مسلمة تقول إن تعاليم التوراة تتقدم على ما سواها، وضمن ذلك التعليمات التي تصدرها الحكومة المنتخبة في إسرائيل. وقد يعلو السؤال: هل يجب أن يأتي "تحفيز" الجيش من الله، أم من الاعتقاد بصدق مبادئ دولة إسرائيل وضرورة الحفاظ على أمنها؟.